الإيجاز في آيات الإعجاز: دراسة تحليلية

An Analytical Study of "Ijaz" in the Holy Qur'an

Dr. Habib Ullah Khan

Assistant Professor, Department of Arabic, International Islamic
University, Islambad, Pakistan
Email: habibullahiui@gmail.com

Dr. Syed Abdul Salam Bacha

Assistant Professor, Department of Arabic, International Islamic
University, Islamabad, Pakistan
Email: bacha_gha@yahoo.com

Abstract:

Languages help us making our journey easy to the threshold of civilization and contain a great trasurehouse of knowledge and literature and a fountainhead of words and meanings. Let us look at one of the languages of the world, which appears entirely different to us from what it was at the outset, and often even the experts of the language fail to understand it. The French, English, Latin, Urdu and Persian etc have taken different shapes with the passage of time in history and culminated in the existing shapes where we find them now. Not a single language in the world has maintained its initial form in the use of words, phrases, grammar and dictation except that the holy Qur'an owing to its powerful expression did not allow the Arabic language to detract from the original position. Not a single word of the holy Qura'an has been coined archaic and every phrase of its language is still a part of the Arabic language and sets a standard for the Arabic language. This paper presents a detailed account of the miraculous expressions of Ijaz of the Arabic language as evident in the holy Qur'an.

Keywords: Brevity, Rhetoric, Deletion, Qur'an, Jurjani

المقدمة:

البلاغة كما عرفها البلاغيون، مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالحال قد تقتضي الإيجاز في القول، وطي الكلمات وعندئذ تكون البلاغة في أن يوجز المتكلم ويختصر كلامه، وقد تقتضي الإطناب وإطالة القول وعندئذ تكون البلاغة في الإسهاب وإشباع القول وإطالة الكلام. ولذا قال الأعرابي عندما سئل عن البلاغة:

"البلاغة هو الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل" وسأل معاوية - رضي الله عنه - صحرار العبدى: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال صحرار: الإيجاز. قال معاوية - رضي الله عنه -: وما الإيجاز؟ فأجاب: أن تجيب فلا تبطل وتقول فلا تخطئ.^١

وقال عبد الله بن المقفع:

"البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ومنها ما يكون رسائل" ٢ .

وقد امتدحوا الإيجاز كثيراً فقالوا: البلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى. والبلاغة لمحّة دالة، والبلاغة كلمة تكشف عن البقية. ولعل السبب في هذا يرجع إلى أمية العرب، وإلى أنهم أمة صافية الذهن، دقيقة الحس، سريعة الفهم، فالعربي تكفيه الإشارة وتغنيه اللمحة وغير العربي يحتاج إلى الإطالة وإشباع القول، وبهذا علل الجاحظ إيجاز القرآن الكريم عند خطاب العرب والأعراب، والبسط والإطالة عند خطاب بني إسرائيل ٣ .

وهذا ما يفسر لنا أيضاً سر السؤال الذي وجه إلى ابن المقفع في قوله المذكور والذي ندرك منه رائحة الاعتراض على مدح الإطناب في موضعه وفي مقامه الذي اقتضاه: "فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف". وبهذا يتضح لك أن للإيجاز مقامات تقتضيه، ومواضع تلائمها، كالحكم والأمثال والرسائل، كما أن للإطناب مقامات تقتضيه، ومواضع تلائمها كالمدح والفخر والوعظ، وما يحسن فيه الإيجاز لا يحسن فيه الإطناب، وكذلك ما يحسن فيه الإطناب لا يحسن فيه الإيجاز، ومن مقامات الإيجاز مقامات الحذف التي تعالج في باب المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل، كما أن من مقامات الإطناب تلك المقامات التي وقفت عليها عند دراستك لذكر المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل.

الإيجاز في اصطلاح البلاغيين:

يذكر الرماني في بيان الإيجاز عدة تعاريف تتناوله من عدة جهات "فالإيجاز تقليل الكلام من غير إحلال بالمعنى، وإذا كان الكلام يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن" ٤ .

كل هذا يؤكد في الإيجاز أمرين:

الأول: الوفاء بالمعنى بدقائقه وخصوصياته والبلاغيون حينما يتكلمون عن المعنى في مثل هذا السياق لا يريدون الغرض العام؛ لأن ذلك يؤدي بأي كلام، أو بالإشارة والحال، والعلامة، والمقصود بقول المراني: من غير إخلال بالمعنى أي من غير إهمال لخصائصه ودقائقه، والبلاغيون يفرقون بين الصيغ في مثل قولنا: (هو أسد) و (هو كالأسد) و (كأنه أسد)، ويقولون إن كل صورة من هذه الصور تفيد معنى لا تفيد الأخرى، وأتينا إذا أردنا الدقة قلنا إن ههنا معاني لا معنى واحداً؛ لأن كل جملة تختلف عن الأخرى وهذه هي خصائص المعاني وهيئاتها التي يطلبون من العبارة الوفاء بها، وهذه مهمة لأن حواشي المعاني وأشكالها وألوانها متعلق النظر في تذوق الكلام ونقده؛ لأنها أحاسيس النفوس، واختلاجات الصدور، وما يسنح أو ينبض في سرائر القلوب، وهذا هو محض الكلام الذي نسليه أدباً، فإذا تفلّت هذا من العبارة وعجزت عن الإفصاح عنه، والإيماض به، كانت عبارة فارغة.

الثاني: الاقتصاد في اللفظ، وهذا يعني البراعة في استخدام الكلمات القليلة وإدارتها في هيئة خاصة تفي فيها بالغرض، فعلى الأديب أن يتروى في اختيار الكلمة التي تصيب شاكلة المعنى، الكلمة التي تصوره، وتشع بأحواله، وتوحي بأجوائه، ثم يتروى في صياغة الجملة ليث في هيأتها، ويسكب في أعطافها قدراً كبيراً من معناه، وقد نبهوا إلى أن الكلمة تفيد بالموصفة، كما تفيد بالهيئة ففاعل غير مفعول، وهكذا، كما تفيد بحركة الإعراب، فقد يُثرى الجملة أن يصير المفعول المنصوب فاعلاً مرفوعاً على طريقة التجوز في الإسناد، أو أن يتحول الفاعل المرفوع إلى تمييز منصوب وغير ذلك مما هو معروف.

وقد نبه إلى ما هو أدق من ذلك حين لفت إلى أن التعبير الممتاز هو الذي يسخر كل شيء لإيصال المعنى حتى أصوات الحروف والكلمات وحسن تجاورها وامتزاجها امتزاجاً تلين فيه وتطوع، فتجري على اللسان من غير كدر.

يذكر العلامة الرماني ثلاث طرق للإيجاز:

الأول: أن يكون سبيلك إلى المعنى أقصر الطرق إليه، فالفكرة الواحدة قد تتعدد طرق أدائها، ويكون بعض هذه الطرق أقصر بياناً وأيسر سبيلاً، والعارف برياضة المعاني هو الذي يدرك أقصرها، فيصل إلى لبّ المعنى من أقصر طريق؛ لأنه يعرف ويسدد، وهذا إنما يكون للذهن الثاقب الذي يحيط بالجوانب إحاطة كاشفة، ويراه رؤية ساطعة، فيتحدد له مراده، وقد أشار العلامة الرماني إلى هذا القسم بقوله: "والإيجاز على ثلاثة أوجه: الإيجاز بسلوك الطريقة الأقرب دون الأبعد، فقد يكون للمعنى طريقان أحدهما أقرب من الآخر" ° .

الثاني: الإيجاز الذي يعتمد على حذف المقدمات، والدخول في الموضوع من أول الأمر، فقد جرى الناس على التوطئة والتمهيد لكثير من المعاني التي يحرسون على تهينة النفوس لها، ثم إن الكلام قد تتخلله معان جانبية يحتاج إليها المعنى الأصلي، والإيجاز هو الاختصار من هذه المعاني على قدر الحاجة، والإيجاز صار خطراً على الكلام يفقد التركيز والتجانس، ولا بد أن يكون الكلام دائماً متجهاً إلى المعنى الأساسي، وهذا القسم من الإيجاز قسم حذر؛ لأن المقدمات التي تهين النفوس لقبول المعنى قد يكون بعضها كالأغراض فيفسد الكلام بحذفه، والموضوعات الجانبية التي تتخلل الأغراض قد يكون بعضها لازماً في إقامة عمود المعنى وبناء هيأته، فلا مناص للمتكلم من أن يكون ذا بصر بما هو ضروري فيحفظه، وبما يمكن أن يقوم الكلام بدونه فيحفظه. قال الرماني في بيان هذا القسم: "وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب، وقد يكتنف الغرض شعب كثيرة كالتشبيب قبل المديح، وكالصفات لما يعترض الكلام مما ليس عليه الاعتماد" أراد الإفاضة في بيان المعاني المعترضة وصفاتها.

الثالث من وجوه الإعجاز: إظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح؛ لأن المستقبح ثقيل على النفس.

وهذا ضرب من الإيجاز لا يتعلق بالألفاظ قلة وكثرة، وإنما يتعلق بموقع الكلام في النفس، وإحساسها به خفة وثقل، إقبالاً وإعراضاً، تعاطفاً وازوراراً، الأساليب المتعثرة المستكرهة ليست من الإيجاز وإن قلت ألفاظها؛ لأنها ثقيلة غثة، تمس مساً كريهاً بطيئاً والأساليب الصافية العذبة من الإيجاز، وإن كان ألفاظها أكثر من الأولى، وليس هذا الوجه الذي لا يلتفت إلى كم الألفاظ خارجاً عن الإيجاز الذي هو الاختصار في استعمال الكلمات، لأن حسن الأسلوب وخفته على النفس لا يتوفر له إلا إذا كان نقياً من الأخطا غير مترحّل ولا ممدود.

أقسام الإيجاز:

ينقسم الإيجاز إلى قسمين: القسم الأول: إيجاز القصر، وهو أن يقصد فيه إلى الإكثار في المعنى من غير أن يكون في التركيب حذف. ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ"^٦. إذ معناه كبير ولفظه يسير وقد وُزن بينه وبين قول العرب "القتل أنفى للقتل"، ورُجّحت الآية من وجوه، ذكرها الإمام الزركشي وهي كالآتي:

١ — إن قوله: "القصاص حياة" أوجز، فإن حروفه عشرة فقط، وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفاً، والتاء وألف الوصل ساقطان لفظاً، وكذا التنوين، لتمام الكلام المقتضي للموقف.

٢ — إن قولهم فيه كلفة بتكرير القتل، ولا تكرير في الآية.

٣ — إن في الآية الكريمة نصاً وتصريحاً بالمطلوب، وهو: (الحياة) والتصريح به أوعى للقبول وأعون على ترغيب الناس فيه، والحرص عليه.

٤ — في تنكير (حياة) نوع من التعظيم، يدل على أن في القصاص حياة متطاولة كقوله: [وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ] ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء .

٥ — أن الآية مستغنية عن تقدير محذوف، بخلاف المثل فإن فيه حذف (من) التي بعد أفعل التفضيل وما بعدها فالتقدير (القتل أنفى للقتل من تركه)؛ أيضا حذف (قصاصاً) مع القتل الأول، و (ظلماً) مع القتل الثاني، فالتقدير: (القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً من تركه) .

٦ — ما اشتملت عليه الآية الكريمة من المحسن البديعي وهو الطباق، فالقصاص ضد الحياة، وهذا يزيد الكلام رونقاً وجمالاً، بخلاف المثل العربي الذي يخلو من ذلك.

٧ — أن لفظ (القصاص) مشعر بالمساواة، فهو مبني على العدل، أما لفظ (القتل) فمشعر بالوحشة، والخوف، يقول الإمام الرافعي: تفيد هذه الكلمة (القصاص) بصيغتها — صيغة المفاعلة — ما يشعر بوجوب التحقيق، وتمكين القاتل من المنازعة والدفاع، وألا يكون قصاص إلا باستحقاق وعدل، ولذا لم يأت بالكلمة من اقتص مع أنها أكثر استعمالاً؛ لأن الاقتصاص شريعة الفرد، والقصاص شريعة المجتمع^٧.

٨ — من الإعجاز في الآية أنها مطردة، بخلاف المثل فإنه ليس كل قتل أنفى للقتل، بل قد يكون أذى له، وهو القتل ظلماً، وإنما ينفيه قتل خاص، وهو القصاص ففيه حياة، وهذا إعجاز للفظ (القصاص) .

فالله — سبحانه وتعالى — سمي بها قتل القاتل، فلم يسمه قتلاً، كما جاء في المثل العربي؛ لأن أحد القتيلين هو جريمة واعتداء، فتره — سبحانه — العدل الشرعي حتى عن شبهه بلفظ الجريمة، وهذا منتهى السمو الأدبي في التعبير، وغاية الفصاحة والبلاغة في الكلام .

٩ — أن إدخال حرف (في) على لفظ (القصاص) جعل له اعتباراً لطيفاً، وهو: أنه كالمنع والمعدن للحياة.

١٠ — الآية الكريمة اشتملت على فن بديع، وهو جعل أحد الضدين الذي هو الفناء والموت محلاً ومكاناً لظده الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة .

١١ — من الوجوه البلاغية في الآية الكريمة أنها رادعة عن القتل والجرح معاً لشمول القصاص لهما، والحياة أيضاً في قصاص الأعضاء؛ لأن قطع العضو ينقص مصلحة الحياة، وقد يسرى إلى النفس فيزيلها، وليس كذلك المثل العربي .

ومنه قول الله — تعالى —: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] فتلك آية من جوامع الكلم، وروائع الحكم، تطوى تحتها كثيراً من مكارم الأخلاق، وذلك لأن العفو والصفح عمن أساء والأخذ بمبدأ التسامع والأغضاء، وفي الأمر بالمعروف صلة الرحم، والعطف على ذوي القربى، وصون

الجوارح عن المحارم، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والأناة، وكظم الغيظ، وغير ذلك من أحاسن الشيم.

وقال الإمام السيوطي عن قوله — تعالى — في سورة هود:

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] ^٨ "أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد واشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأفلام. وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف".^٩

والقسم الثاني: إيجاز الحذف: وهو ما قصد فيه إلى إكثار المعنى، مع حذف شيء من التركيب، ولا بد في كل حذف من وجود أمرين، داع يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف وترشد إليه وتعينه. والمحذوف إما أن يكون جزء كلمة، أو كلمة أو جملة أو أكثر من جملة، وإليك بيان ذلك.

حذف جزء الكلمة:

كما في قوله — تعالى —: [قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا] ^{١٠} فالأصل: ولم أكن بغيا، وقد حذفت النون تخفيفاً. حذف الكلمة: وله صور كثيرة أهمها:

١— حذف الحروف، كحذف همزة الاستفهام في قوله تعالى:

[مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ] ^{١١}.

إذ المراد: أمثل الجنة التي وعد المتقون كمن هو خالد في النار..؟ فحذفت الهمزة وفي حذفها زيادة تصوير لعناد المعاندين ومكابرة المكابرين الذين يسوون بين الحق والباطل، وبين من يتمسك بالبينية ومن يتبع هواه.

يقول العلامة الزمخشري:

"فإن قلت ما معنى قوله — تعالى — [مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ] ^{١٢} ؟

قلت: هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار، لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلوكه، وهو قوله — تعالى — [أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَبِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ] فكأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار؟ أي: كمثل جزاء من هو خالد في النار، فإن قلت: فلم عري من حرف الإنكار وما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبيئة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يُسقى أهلها الحميم" ١٣ .

٢ — حذف المسند إليه أو المسند أو أحد متعلقات الفعل كالمفعول والحال والجار والمجرور.

٣ — حذف المضاف، كما في قوله تعالى [وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] ١٤ أي أهل القرية وأصحاب العير، فحذف المضاف في الموضعين، وحذفه يشير إلى شهرة السرقه وذبيوعها وكأنهم يريدون أن أمر سرقة قد اشتهر وذاع إلى حد أنك لو سألت الجمادات لأجابت، ولو سألت الحيوانات لنطقن وأخبرت.

٤ — حذف المضاف إليه، كما في قوله تعالى : [وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ] ١٥ أي: بعشر ليال.

٥ — حذف الموصوف، كما في قوله تعالى : [وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرْفِ أَثْرَابٌ] ١٦، أي حور قاصرات الطرف.

٦ — حذف الصفة، كما في قوله تعالى : [أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا] ١٧ .

أي: يأخذ كل سفينة صالحة، بدليل قوله: [فأردت أن أعيبها]، والحذف هنا يوحى بجزوت هذا الملك وإفساده وشدة ظلمه، فغصبه ليس قاصراً على الصالح من السفن، بل تجاوزه إلى غير الصالح، فغايبته هي الغصب والاستيلاء، بهذا ينبئ الحذف، فالحذف في الآية يصور مدى طغيان الملك وشدة ظلمه.

٧ — حذف القسم، كقوله تعالى [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ] ١٨ أي: تالله لئن لم ينته.

٨ — حذف جواب القسم كقوله تعالى: [وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ] ١٩، فقد حذف جواب القسم لوضوحه وبيانه وتقديره: لتبعثن.

٩ — حذف الشرط، كقوله تعالى: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ] ٢٠، أي: فإن تتبعوني يحبكم الله.

١٠ — حذف جواب الشرط: كما في قوله تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] ٢١، أي: أعرضوا بدليل قوله — تعالى — بعده: [وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ] ٢٢، وهذا الحذف يشير إلى أنه كان ينبغي لهم أن يستجيبوا ويقبلوا النصيح فيحققوا التقوى، وما كان ينبغي لهم الإعراض والتولي وكأن طبه من اللفظ ينبئ بضرورة التخلي عنه وإسقاطه من الأذهان والمصارعة إلى قبول الهداية والحق.

١١ — حذف جواب الاستفهام، كما في قوله تعالى:

[وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] ٢٣

فحذف جواب الاستفهام وتقديره: (لا يرانا من أحد) بدليل قوله [ثم انصرفوا]؛ لأنهم لم ينصرفوا إلى بعد تأكدهم من أنه لا أحد يراهم، والحذف هنا يشير إلى حذرهم ومبلغ حيبتهم وكأن الجواب كان همساً في الآذان وليس أصواتاً مسموعة.

١٢ — وحذف المعطوف: كما في الآية الكريمة:

[لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا] ٢٤ أي: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل، فحذف المعطوف للدلالة ما بعده عليه.

إيجاز القصر أدق من إيجاز الحذف:

يذكر العلامة الرماني أن إيجاز القصر أدق من إيجاز الحذف، ومرجع ذلك كما يقول إلى معرفة المواضع التي يصلح فيها والمواضع التي لا يصلح لها، وحينما نتأمل إيجاز القصر نجد له طبيعة خاصة تجعله متميزاً، فالكلام الذي يصاغ من أول أمره على الإيجاز أو يدخل في بنية تركيبه، ولم يعرض له حذف أدق مسلكاً من إيجاز الحذف؛ لأن الحذف يعني أن العبارة جرت على المعنى، وامتدت بامتداده ثم سقط جزء منها، وأقيم عليه الدليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير، وإلباسه بنية لفظية قليلة، وهذا جهد صعب؛ لأنه يعني ضغط المعنى ضغطاً حاداً لا يضيّع منه شيئاً، ثم مدّ اللفظ القصير عليه، وبسطه حتى يستولي على كل دقيقة في حاشية المعنى، ولهذا احتاج هذا الأسلوب إلى فطنة ووعي، وسليقة ودربة تعرف كيف تصطنع الملح والإيجاء. واللفظ فيه يدل على معنى ويومئ بثن وثالث، وليس كل غرض صالحاً لهذا الأسلوب فهناك أغراض تقتضي غلبة التصريح على التلويح، وتحتاج إلى مدّ النفس في الكلام، وإلقاء الضوء الساطع على كل جوانب المعنى.

مواضع يفضل فيها الإيجاز:

- ١ — رسائل الملوك والرؤساء إلى الولاة والعمال، خاصة في أوقات الحروب، وفي الشدائد والأزمات.
- ٢ — الأوامر والنواهي السلطانية.
- ٣ — كتب الوعد والوعيد.
- ٤ — الاعتذار، والتنصل من تهمته الذنب وتبعاته.
- ٥ — العقاب بين المحبين والأصحاب.
- ٦ — مخاطبة الأذكياء الذين يكفيهم التلميح، وتُقنعهم الإشارة.
- ٧ — المواطن التي يحسن فيها الرمز لإخفاء المقاصد عن غير من يوجه له القول، من رقباء أو ذوي فضول.

نتائج البحث:

- من خلال هذا المقال وصلت إلى عدة نتائج، أهمها:
- ١ — إعجاز القرآن لا ينفد، وأسراره لا تنقضي، فلا يعدّها عادًة، ولا يحصيها محصٍ، فتنوع الإعجاز، وتعددت الأسرار، ففي كل سر دقيق، وفي كل جملة وآية معجزات ليست في اللفظ فقط، بل في كل ما تعرض له القرآن من مسائل دنيوية وأخروية، فسبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه ومداد كلماته.
 - ٢ — من عظم إعجاز القرآن الكريم أن يظهر لنا في آية واحدة بل في جزء من آية لا تزيد عن عشرة أحرف أكثر من عشرين وجهاً، وهي في قوله — تعالى — [ولكم في القصص حياة]، والحق أن ما خفي علينا أعظم.
 - ٣ — الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان الكلام يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز.
 - ٤ — تعريفات الإيجاز تؤكد فيه أمرين، الوفاء بالمعنى بدقائقه وخصائصه، والاقتصاد في اللفظ.
 - ٥ — للإيجاز ثلاث طرق عند العلامة الرماني ألا وهي: أن يكون سبيلك إلى المعنى أقصر الطرق إليه، الدخول في الموضوع من أول الأمر بدون التوطئة والتمهيد، إظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح؛ لأن المستقبح ثقل على النفس.
 - ٦ — ينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز القصر: وهو أن يقصد فيه إلى الإكثار في المعنى من غير أن يكون في التركيب حذف. وإيجاز الحذف: وهو ما قصد فيه إلى إكثار المعنى، مع حذف شيء من التركيب.
 - ٧ — قد وزن بين قول الله — سبحانه وتعالى — (ولكم في القصص حياة) وبين قول العرب (القتل أنفى للقتل) ورُجِّحت الآية بعشرة وجوه على المثل.

٨ - إيجاز القصر أدق من إيجاز الحذف؛ لأن الحذف يعني أن العبارة جرت على المعنى، وامتدت بامتداده ثم سقط جزء منها، وأقيم عليه الدليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير، وإلباسه بنية لفظية قليلة، وهذا جهد صعب.

٩ - سأل معاوية - رضي الله عنه - صحار العبدى: ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال صحار: الإيجاز.

١٠ - قد تقتضي الحال الإيجاز في القول، وطى الكلمات وعندئذ تكون البلاغة في أن يوجز المتكلم ويختصر كلامه، وقد تقتضي الإطناب وإطالة القول وعندئذ تكون البلاغة في الإسهاب وإشباع القول وإطالة الكلام.

الهوامش والإحالات

- ١ - البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناشي الشهير بالجاحظ، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٩٦.
- ٢ - البيان والتبيين، ج ١، ص ١١٥.
- ٣ - الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناشي الشهير بالجاحظ، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٩٣.
- ٤ - النكت في إعجاز القرآن الكريم، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، عام ١٩٧٦م، دار المعارف بمصر، ص ٧٦ - ٨٠.
- ٥ - النكت في إعجاز القرآن الكريم، ص ٧٩.
- ٦ - سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
- ٧ - وحي القلم، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٤٠٣ و ٤٠٤.
- ٨ - سورة هود، آية: ٤٤.
- ٩ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٢٢٥.
- ١٠ - سورة مريم، الآية: ٢٠.
- ١١ - سورة محمد، الآية: ١٥.
- ١٢ - سورة محمد، الآية: ١٥.
- ١٣ - تفسير الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التزويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج ٣، ص ٥٣٣.
- ١٤ - سورة يوسف، الآية: ٨٢.
- ١٥ - سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
- ١٦ - سورة ص، الآية: ٥٢.

—١٧	سورة الكهف، الآية: ٧٩ .
—١٨	سورة الأحزاب، الآية: ٦٠ .
—١٩	سورة الفجر، الآيات من ١ إلى ٥ .
—٢٠	سورة ال عمران، الآية: ٣١ .
—٢١	سورة يس، الآية: ٤٥ .
—٢٢	سورة يس، الآية: ٤٦ .
—٢٣	سورة التوبة، الآية: ١٢٧ .
—٢٤	سورة الحديد، الآية: ١٠ .

@ 2017 by the author, Licensee University of Chitral, Journal of Religious Studies. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>).